

قصة طبيبتين من تونس تحاربان الوباء بلا كلل

نصاف بن علي

هل تنجح في إبقاء التونسيين في البيوت؟

إلهام بوطيبة

طبيبة تكشف مع فريقها شيفرات كورونا

حول فايروس كورونا الموجود في تونس والمتغلطة في وجود شبه بينه وبين الفايروس المنتشر في الولايات المتحدة والذي يختلف عن الفايروس الموجود في الصين.

«مكسب علمي كبير تفخر به تونس» هكذا وصف وزير الصحة التونسي هذه النتيجة الأولية عند توجيهه الشكر للدكتورة إلهام بوطيبة وكامل فريقها. فيما وجهت الدكتورة بوطيبة الشكر والتقدير لكل أعضاء فريقها اعترافاً بتضحياتهم من أجل أداء واجبهم وعلى جهودهم في سبيل فك شيفرة الفايروس الذي ما يزال يحتفظ بأسراره، واجهين أعتى التحديات وأخطورة الوضع وتخصيصها بالذکر كحادث أعضاء الفريق فهي إطار شبه طبي ولم تسال بحملها وواصلت أداء مهمتها إلى حين اقتراب موعد ولادتها. بذلك أعطت إلهام بوطيبة مثالاً عن رئيسة العمل التي تعترف بجهود فريقها وتتضحها أعضاءه ولا تنتهز الفرص للظهور في صورة البطلة التي حولها وحدها تدور أحداث القصة. زخم الأبحاث العلمية والأكاديمية الذي عاشته الدكتورة بوطيبة تخلته إسهامات بارزة في العديد من الدراسات والمقالات العلمية في مجال اختصاصها ومن بينها مشاركتها ضمن فريق الأطباء والعلماء الذين شاركوا في جميع البيانات من أجل إعداد تقرير النظام العالمي لمراقبة مقاومة الميكروبات لعامي 2016 و 2017 الذي نشرته منظمة الصحة العالمية.

وجاء هذا التقرير في إطار البرنامج العالمي لترصد مقاومة مضادات الميكروبات الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية والهدف لتوفير قاعدة بيانات تساعد في عملية صنع القرار ودعم الاستراتيجيات المحلية والعالمية للتعامل مع عبء مقاومة مضادات الميكروبات.



بوطيبة تدير المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بالعاصمة التونسية والذي توصل الفريق العامل فيه تحت قيادتها لتحديد التسلسل الجيني لفايروس كورونا المستجد

ومن بين أهداف البرنامج العالمي تجميع المعلومات السريرية والمختبرية والوبائية الخاصة بمسببات الأمراض والعمل من أجل التنفيذ المبكر لنظام الترصد الذي يركز على البكتيريا المقاومة للمضادات الحيوية.

ومحلياً، كان لبوطيبة مشاركات قيمة في إنجاز أبحاث علمية باللغة الأهمية من بينها دراسة تونسية تتعلق بمعدل الانتشار ومقاومة المضادات الحيوية المكتسبة وإنتاج البكتيريا للمكورات المعوية، والتي أظهرت نتائجها بعد فحص العشرات من المنتجات الغذائية المخمرة مستويات عالية من التلوث بالمكورات المعوية.

إلهام بوطيبة وجه من وجوه تونس في زمن كورونا وسيرة بين أسطرها تسرد قصصاً وحكايا لجنود الجيش الأبيض الذي يحارب انتشار الوباء.

الرئيسية على التلفزيون التونسي. تكمن القيمة العلمية لهذا الإنجاز في كونه يعتبر الخطوة الأولى للسير على طريق فهم نوعية الفايروس المستجد إذ يساعد في عملية جمع معلومات بشأنه في تونس ومقارنته بالأنواع الأخرى المنتشرة في بقية دول العالم إلى جانب معرفة طرق تنقله بشكل أكثر دقة.

بوطيبة التي ولدت في الـ 27 من ديسمبر 1967 في العاصمة تونس متزوجة من طبيب الأطفال التونسي زبير بن بوبكر. وهي ابنة المدرسية العمومية في تونس ولها تدين بفضل تكوينها حيث درست فيها في مختلف المراحل بداية من الابتدائية في مدرسة جان دارل، ثم الثانوية في معهد نهج روسيا، الذي أنهت دراستها به حصولها على البكالوريا وهي شهادة الثانوية العامة في تونس بنتائج متميزة مكنتها من دخول كلية الطب بتونس. حققت إلهام بوطيبة نتائج لامعة طيلة دراستها الجامعية فتحت في اختبار التبريز في الطب لتصبح أستاذة مميزة في اختصاص البيولوجيا. حصلت على الدرجات العلمية لنصل إلى منصب رئيسة مختبر البحث حول مقاومة المضادات الحيوية بكلية الطب بتونس الذي تشغله حالياً إلى جانب وتلقيتها في المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بمستشفى شارل نيكول.

الصف الأمامي

احتفى التونسيون بمجرد إعلان وزير الصحة عن توصل المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بمستشفى شارل نيكول إلى تحديد التركيبة الجينية لفايروس كورونا. فخر واعتزاز بالكفاءات العلمية التونسية واحترام وتقدير لوجود النسائية التي تقف في الصف الأمامي من المعركة حامية الوطيس التي تخوضها تونس ضد تفشي كوفيد - 19، هذا باختصار كان مضمون تعليقات التونسيين في مختلف شبكات التواصل الاجتماعي ومحتوى ردود فعلهم مع تلقيهم خبر ما سموه «اكتشافاً» وإنجازاً علمياً هاماً.

بوطيبة هذه الأكاديمية التونسية بملاحم الأم الطيبة وبشخصية المثقفة التونسية التي صقل ثنائياها كل ما تحقق للمرأة في هذا البلد الذي يؤكد في كل مناسبة أنه استثناء فيما يتعلق بمكاسب نسائه، في أولى مناسبات ظهورها الإعلامي غلبتها صفة الباحثة وبقوتها في استعمال المصطلحات والتعابير فاصلحت ما شاع خطأ حول إنجاز المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بمستشفى شارل نيكول لتؤكد أنه «لم يتم اكتشاف التسلسل الجيني لفايروس بل تم تحديده، موضحة أهمية هذا الأمر في جمع معلومات حول الفايروس وبالتالي فهم نوعه. وكشفت عن أن عملية تحديد التسلسل الجيني لفايروس كورونا الموجود حالياً في تونس تمت من خلال تحليل واختبار ثلاث عينات فقط كما بينت أن ما تم الإعلان عنه ليس سوى جزء من مسار ما يزال متواصلاً في المختبر الذي تشرف على تسييره بهدف الوصول إلى النتيجة النهائية الدقيقة.

وفي مراحل لاحقة من تقدم الأبحاث المخبرية حول فايروس كورونا في تونس والقيام بالمزيد من التحاليل للعينات المصابة، من المتوقع أن تتغير جينات الفايروس لاسيما أن العينات التي تم اختبارها إلى حد الآن قادمة من مصر وتركيا.

الأبحاث الأولية التي يعمل عليها المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بمستشفى شارل نيكول وصلت إلى أولى الحقائق

نسرلين رضاني

صحافية تونسية

أزاح الأطباء والمختصون السياسيين والفنانين وغيرهم من المشاهير من المنصات الإعلامية التونسية وفرضوا حضورهم مرتبعين على عرش هذه الوسائل التواصلية في زمن وباء كورونا ليحصلوا نسب المشاهدة العالية. فالجمهور غير بوصلة اهتماماته وبات مجالات الصحة بانواعها ويلاحق أخبار انتشار الفايروس المستجد في أدق تفاصيلها بما فيها التقنية التي يستعصي فهمها على المواطن العادي.

عملية تحديد التسلسل الجيني لفايروس كورونا الموجود حالياً في تونس تمت من خلال تحليل واختبار ثلاث عينات فقط. وتؤكد بوطيبة أن ما تم الإعلان عنه ليس سوى جزء من مسار ما يزال متواصلاً

من بين النجوم الجدد الذين يتالون حظوة لدى التونسيين ويحصلون الإعجاب الطبية والباحثة إلهام بوطيبة رئيسة قسم المختبر المرجعي للتحاليل الجرثومية بمستشفى شارل نيكول بالعاصمة التونسية والذي توصل الفريق العامل فيه تحت قيادتها لتحديد التسلسل الجيني لفايروس كورونا المستجد.

إنجاز علمي

بكلمات بسيطة ومفردات مفهومة، شرحت بوطيبة النتائج التي توصل إليها فريقها مستعينة برسم بياني خلال استضافتها في نشرة الأخبار

إلى أمد غير بعيد كانت هجرة الكفاءات التونسية الهاجس الذي يقض مضجع السلطات والمواطنين على حد سواء حيث استشعر هؤلاء خطر فقدان كفاءاتهم لمصلحة دول متقدمة على غرار فرنسا.

وجعل تزيف الكفاءات تونس تترج تحت تراجع البحث العلمي الذي له دور بارز في مثل هذه الأزمات الصحية. وحسب تقرير التنمية البشرية في العالم العربي لسنة 2016 تحتل تونس المرتبة الثانية عربياً في تصدير الكفاءات العلمية إلى الخارج. وقد غادر نحو 95 ألف تونسي البلاد في المئة منهم من الجامعيين، وتقدر إحصاءات رسمية أن 1500 طبيب تمت استمالتهم للعمل خارج البلاد.

وتنامى منذ سنة 2011 عدد التونسيين من ذوي الاختصاصات المعنية مباشرة بالقطاع الصحي كالمعلم والصيدلة الذين يفصلون العمل بالخارج بعد أن تكونوا في تونس ومنهم من يهاجر نهائياً. وفي الواقع تونس ليست استثناء في هجرة الأدمغة حيث فوجئ الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على سبيل المثال عند زيارته لمخبر الدكتور بدييه راوول في وقت سابق بوجود طلبة متربصين ومساعدين للدكتور من جنسيات مختلفة لبنانية وتونسية.

ويجمع العديد من الإخصائيين أن إفراغ تونس من الكفاءات الصحية قد تكون له عواقب وخيمة على مستقبل هذا القطاع خاصة عند المحن كالأزمة الصحية التي اجتاحت البلاد. ولكن بن علي لا تشايرهم في آرائهم حيث تقول بن علي «تونس تزخر بكفاءاتها دائماً، حتى وإن غادرتها البعض فإن الغالبية ستبقى لتساهم في بناء البلاد وتطوير قطاعها الصحي، لأن المقاربة الأنجع للإبقاء على كفاءاتنا في تونس هي توفير كل الظروف المواتية لعملهم» في إشارة إلى المخاطر والمستلزمات الطبية وغيرها.



صرخة بن علي تشبه صرخة الأم التي تخاف على أبنائها من خطر داهم. وهناك من يعتبرها بمثابة القائد الحربي المتمرس في ساحة المعركة

حداً لتفشي كوفيد - 19 ما جعل وزير الصحة التونسي عبد اللطيف المكي يشهد بالجهود التي بذلها هؤلاء من أجل تلافى خسائر بشرية كبيرة في تونس التي لم تمنع من أجل فرض الحجر الصحي الشامل رغم الارتدادات الضخمة الناجمة عن العزل على الاقتصاد.

وبالإضافة إلى سعيها لجانب فريقها لضبط استراتيجيات تخفف من تداعيات كورونا على التونسيين فإن بن علي كانت وجهها بارزاً من الوجوه التي شاركت في ملتقيات دولية بشأن الوباء. ففي فبراير الماضي نظم المركز الأفريقي في أدبيس الأمراض بمقر الاتحاد الأفريقي في أدبيس أبابا اجتماعاً وزارياً طارئاً تدارس الوضع الوبائي وتطوره في القارة السمراء والعالم، وكانت بن علي أبرز الوجوه التي مثلت تونس في هذا الملتقى إلى جانب وزيرة الصحة السابقة سنية بالشيخ وبالرغم من البحوث التي أعدها المرصد، الذي تشرف عليه حول الوباء، إلا أن بن علي تشير إلى أنه «لا يمكن الحديث عن كتهنات بخصوص كورونا، حتى من توقع أرقاما في العالم أخطأ وجانبت هذه الإحصائيات الصواب».

وضع صحي دقيق

سجلت تونس إصابات متصاعدة بكوفيد - 19 بالإضافة إلى حالات الوفاة، وسط تساؤلات وانتقادات بشأن خرق العزل الصحي من قبل شخصيات نافذة بالرغم من تأكيد السلطات على أن القانون سيطبق «بحزم» على الجميع. لم تتوان بن علي في توجيه اتهامات لرجال أعمال بكسرهم الحجر الصحي وتعرض حياة أقربائهم للخطر في وقت تسعى فيه السلطات الصحية جاهدة لتفادي إصابات أكثر باعتبار أن طاقة المستشفيات الاستيعابية التي لا تقدر على احتضان هؤلاء.

وطالبت في الـ 11 من أبريل بفتح تحقيق بشأن عملية «تهريب رجل أعمال وزوجته من الحجر الصحي»، وتناقلت تصريحات بن علي كبرى مؤسسات الإعلام التونسية ولقيت صدى واسعاً في الشارع وعلى مواقع التواصل الاجتماعي التي احتفت بجرأة المرأة.

وفي تصريح لـ «العرب» تشدد بن علي على أن «المرصد ووزارة الصحة يتابعان الوضع الوبائي في تونس والذي ينتشر ببطء، لذلك لا يمكن التكهن بالتوقيت الذي سيبلغ فيه الزروة». ومع تطميناتها للتونسيين إلا أن بن علي تعتمد على سياسة التهيب والتخويف لمنع أي انفلات قد يطرأ على الحجر الصحي الشامل الذي فرضته بلادها.

صغير الحيدري

صحافي تونسي

تونس - عندما بدأت المخاطر تحقيق حياة التونسيين بسبب تفشي وباء كورونا برزت أصوات ستنقذ راسخة في أذهان من شهدوا الأزمة التي كادت تعصف ببلادهم كما بالعالم خاصة وأن تونس التي تكافح من أجل تحصين ديمقراطيتها الناشئة تشكو وضعا صحيا مترديا بعد أن انصرف الجميع للصراعات السياسية وظلت مؤسسات القطاع الصحي تواجه المصاعب لوحدها.

ولعل أبرز هذه الأصوات والوجوه نصاف بن علي الطبيبة التي تشرف على مرصد الأمراض الجديدة والمستجدة والتي كانت لها صرخة تشبه صرخة الأم التي تخاف على أبنائها من خطر داهم بل أبعد من ذلك فهناك من اعتبرها بمثابة القائد الحربي المتمرس في ساحة المعركة. وقد خلفت بن علي بهذه الصرخة انظار التونسيين لها خاصة الغاضبين منهم على أداء باقي مؤسسات الدولة.

مسار مميز

بن علي التي ولدت في العام 1969 بمدينة قلبية الساحلية، كانت أولى مصافحاتها مع التونسيين على شاشات التلفزيون والإذاعات خلال المؤتمرات الصحافية المخصصة للإعلان عن المستجدات المتعلقة بفايروس كورونا المستجد في بلادها. في الـ 23 من مارس الماضي، وبينما كان التونسيون يتجادلون حول الخروقات التي قام بها بعضهم بحق الحجر الصحي الشامل الذي فرضته البلاد، خرجت بن علي لتطلق صرخة فزع حول وضع صحي خطير تنزلق نحوه تونس. ووجد نداءها صدى لدى التونسيين حيث اهتزت مواقع التواصل الاجتماعي بمقاطع من المؤتمر الصحفي الذي عقده وهي تحاول توعية مواطنيها وإقناع الخطاة التي رسمها مرصدنا ووزارة الصحة لكبح جماح الوباء.

وفي حديث لـ «العرب» قالت المدير العام لمرصد الأمراض الجديدة والمستجدة إن «التونسيين تفاعلوا مع صيحات الفزع التي أطلقتها وفريقنا وهناك التزام بالحجر الصحي». وأردفت «هو ليس بالالتزام التام مئة في المئة لكن هناك التزام من قبل المواطنين الواعين خاصة بعد أن فسرتنا لهم أدق التفاصيل حول العزل الصحي».

تحصلت بن علي على الدكتوراه في جامعة الطب بتونس وأجرت بحوثا وماجستيرا في جامعات فرنسية معروفة على غرار جامعة بيار وماري كوري، وهي إحدى الجامعات الأعضاء في رابطة الجامعات البحثية الأوروبية. وبعد عودتها من فرنسا انضمت إلى معهد باستوري في تونس، وهو مؤسسة صحية عريقة تأسست في العام 1893، ثم انتقلت لقيادة المرصد الوطني للأمراض الجديدة والناشئة في خطة مديرية عاملة، ولا تتوقف مسيرة بن علي الثرية عند هذا الحد حيثواصلت بحوثها لتنتج ذلك بدراسات متميزة في مجال الأوبئة التي مثلت تحدياً للشعب ولانظمتها السياسية في السنوات الأخيرة.

تونس تزخر بكفاءاتها دائماً، كما تقول بن علي، التي تضيف «حتى وإن غادرتها البعض فإن الغالبية ستبقى لتساهم في بناء البلاد وتطوير قطاعها الصحي»

وعندما كان العالم يراقب عن كثب تطورات الوضع الوبائي في مقاطعة ووهان الصينية، مهد كورونا، في يناير الماضي، حشدت بن علي جهود فريقها في المركز لإجراء بحوث قيمة ودراسات حول هذا الوباء وتداعياته على التونسيين. ومنذ ذلك الحين أطلقت الطبيبة الشابية وفريقها العنان بالفعل لرسم خطة تضع